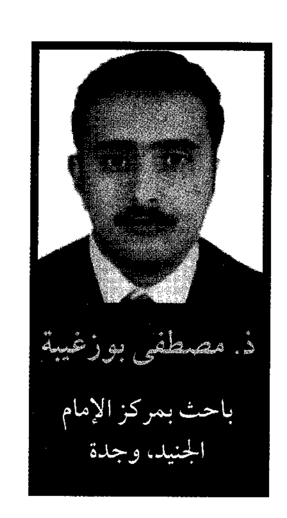
القُلوب قوت

ملف العدد

جهود الزوايا المغربية في خدمة الحديث النبوي الشريف



ذ. مصطفى بوزغيبة

باحث بمركز الإمام الجنيد، وجدة

اعتنى المغاربة بالحديث النبوي الشريف، وعملوا على حفظه ودراسته، والدفاع عنه، وحمل لوائه ونشره، وكانت للزوايا آثار مجيدة ومفاخر جليلة، في الحفاظ على الحديث في ربوع المغرب بل امتد إشعاعها خارج المغرب، فتخرّج منها علماء فطاحل، سارت بأسمائهم الركبان، منها الزاوية الفاسية، والزاوية الكتانية، والزاوية الناصرية، والزاوية الصديقية، والزاوية العياشية، والزاوية الدلائية... وسنحاول في هذه الورقة تسليط الضوء على جهود بعض هذه الزوايا في مجال الحديث النبوي الشريف.

1 - الزاوية الناصرية:

تأسست الزاوية الناصرية بتمكروت في أواخر القرن العاشر الهجري على ضفاف وادي درعة قرب مدينة زاكورة، وكان لها دور كبير في خدمة الحديث النبوي الشريف، حيث تعد مركزا علميا وروحيا، تُوفر للوافدين إليها ظروف أخذ العلم من: الإقامة

وكفاية مؤنة الطلبة والأساتذة... وتخرَّج من هذه الزاوية كبار العلماء الذين لهم دور كبير في نهضة المجال الديني بالمغرب؛ نستحضر منهم:

■ **الشيخ محمد بن ناصر الدرعي التامكروتي**

هو الشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر ابن ناصر الدرعي، ولد سنة أحد عشر وألف، وتوفي رحمه الله صدر صفر سنة خمسة وثمانين وألف.

هو أحد العلماء الثلاثة الذين قام عليهم العلم بالمغرب آنذاك، وفي ذلك يقول القادري: «لولا ثلاثة لانقطع العلم من المغرب في القرن الحادي عشر لكثرة الفتن التي ظهرت فيه، وهم: سيدي محمد بن أبي بكر في ملوية من بلاد فزاز، وسيدي محمد بن ناصر في الصحراء، وسيدي عبد القادر الفاسي بفاس»[1]. وكلهم من كبار الصوفية، وقال فيه العلامة أحمد أحزي الهشتوكي: «شيخنا وقدوتنا، ووسيلتنا إلى ربنا، الحافظ الجامع الزاهد الخاشع»[2]، ووصفه تلميذه اليوسي في فهرسه بقوله: «كان رحمه الله مشاركا في فنون من العلم كالفقه والعربية والكلام والتفسير والحديث والتصوف،(...) وكان رحمه الله مع انكبابه على علوم القوم وانتهاجه منهج الطريقة لا يُخل بالعلم الظاهر تدريسا وتأليفا وتقييدا وضبطا، نفع الله به الفريقين ونوّر به الجانبين، وصحبه الناس شرقا وغربا فانتفع به الخلق»[3].

أما عنايته بكتب الحديث فكان يدرسها كل يوم، وإذا أَهَلَّ شهر رمضان يسرد صحيح البخاري.

وقد تخرج على يد هذا الشيخ الجليل العديد من العلماء النبغاء الذين ملأوا مختلف أنحاء المغرب علما وعملا، ومن تلاميذه الذين أخذوا عنه العلم، وبخاصة علم الحديث والتصوف، أبو علي الحسن ابن مسعود اليوسي وغيره كثير.

■ **الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر:**

هو الحافظ الكبير، العالم العامل، الجامع بين الشريعة والحقيقة، وأحد رجالات الزاوية الناصرية، ولد سنة 1057هـ، وتوفي-رحمه الله-بدرعة ليلة الجمعة بين العشاءين تاسع عشر ربيع الثاني سنة تسع وعشرين ومائة وألف، يقول عنه الشيخ عبد الحي الكتاني في فهرسه: «كان ممن نصر السنة في المغرب، وحبذ أعمالها وآدابها، وتعصب لها تعصب الغيور الهصور، وكان له تأكيد في اتباع العلم وتحكيمه، يُؤخذ ذلك من رسائله لزواياه»[4].

يقول الحضيكي في ترجمته له: « وكان – رضي الله عنه – مقيما للسنة النبوية والشريعة المحمدية، حريصا على إحياء السنن وإخماد البدع، شديدا على أهل البدع والضلال، قوَّالا للحق (...) فعم نفعه البلاد والعباد، وصارت بركته وصيته في الأرض، وسرى سره بحمد الله في القلوب، ووضع له القبول في الأرض، وتزاحم على بابه الركبان، وتسارع الناس إليه من كل وجه، وشُدت المطايا له من أقاصي الأرض، فأشرقت القلوب وانبسطت النفوس، ونشطت لعبادة خالقها، وذهب عنها البؤس ببركة إحياء السنة واتباع الشريعة المصطفوية، حتى اشتهر ذلك في عالم الأرض عند القريب والبعيد، وهدى الله به – رضي الله عنه – أكثر العباد»[5].

وقد ساهم هذا الشيخ في إغناء مكتبة الزاوية بالنفائس والذخائر، باذلا في ذلك أموالا طائلة، «حتى قيل أنه اشترى بمصر في آخر حجاته مائة مثقال ذهب من كتب، ولا يمنعها من مستحقها حتى أنه اشترى نسخة من صحيح البخاري بمكة بثلاثة وسبعين مثقال ذهبا»[6]، وهو الذي جلب إلى المغرب لأول مرة في تاريخه النسخة اليونينية من صحيح البخاري وهي نسخة في عشرة أسفار كتبت بخط مشرقي واضح نقي، كاتبه إبراهيم بن علي القيصري المكي الحنفي، فرغ منه سنة 1117هـ تجاه الكعبة المعظمة، وذكر أن ناسخ الأصل اليونيني محمد ابن عبد المجيد أتمه سنة 669هـ، وعلى الفرع المذكور بخط المترجَم: «مِلْكٌ لله بِيد أحمد بن محمد بن ناصر، كان الله له، بمكة المشرفة بثمانين دينارا ذهبا»[7]، وما تزال هذه النسخة موجودة بالخزانة العامة بالرباط.

■ **الشيخ محمد بن عبد السلام الناصري:**

هو الإمام الفقيه المحدث المسند، أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد الكبير بن ناصر الدرعي

التامكروتي. خاتمة الحفاظ بالمغرب كما وصفه الشيخ الكوهن في فهرسته[8].

أثناء رحلته الحجازية الأولى سنة 1196هـ التقى بالشيخ مرتضى الزبيدي الحسني فأجازه نظما ونثرا، ومن بين ما قال داعيا له بالتفوق في حفظ الحديث[9]:

وقد سألت ربنا سبحانه
له على ما قصد الإعانة
حتى يصير حافظ الزمان
وعالما بعلمه الرباني

وأهداه عدة أسفار نادرة أخرجها من مكتبته تقديرا له وإكبارا له على تقدمه في هذا الشأن.

وما يدل على مدى حبه للسنة النبوية، والسعي وراء خدمتها، هو بحثه الحثيث عن الأصول النادرة، وأداه ذلك أنه لما حج المرة الثانية سنة 1212هـ، اكتشف نسخة صحيح البخاري بخط الصدفي في طرابلس الغرب فاهتم بها وتعلق، وخاطب صاحبها في شرائها، ولما لم يستطع ذلك لارتفاع ثمنها، أخبر بذلك السلطان سليمان العلوي الذي وجه رسولا خاصا يحمل ألف مثقال (أو ريال) لصاحب النسخة فقبل البائع وهم بحملها إلى الملك لكن الحرب حالت دون ذلك[10].

وما يميز هذه الزاوية هي المكتبة الضخمة التي تحتوي على نفائس وذخائر جعلتها محط أنظار الباحثين والعلماء في مختلف أنحاء المغرب وخارجه.

2 - الزاوية الكتانية:

تقع هذه الزاوية في مدينة فاس وأسسها الشيخ سيدي محمد بن عبد الواحد الشهير بالكبير، المتوفى سنة 1289هـ، والتي جعلها مقرا للعبادة والتعليم والتدريس، وخلفه في مهمته ولده جبل السنة ومحييها سيدي عبد الكبير بن محمد بن عبد الواحد الكتاني، وفي عهده توسعت الزاوية وأصبح لها فروع داخل المغرب وخارجه، وتخرج من هذه الزاوية عدد كبير من العلماء والدعاة إلى الله.

وما يدل على عظيم جهودها في خدمة الحديث النبوي الشريف ما قاله المحدث المسند الشيخ أبو عبد الله محمد المكي ابن عزوز التونسي بعد تحسره وشكواه من ضياع الحديث وأهله: «فبينما أنا آسف وباك وإلى الله شاك، إذ جاءت الركبان والبريد من أقاصي البلدان بأخبار تُنعش الروح وتُداوي القلب المجروح بإحياء السنن وإفاضة المنن من منابع عرفانية ومطالع ربانية من صفوة العصر زينة المغرب السادات الكتانية، وتواترت الأخبار وانتشرت الآثار، فحمدنا الله على وجود الطائفة القائمة بأمر الله الداعية إلى الله الهادية على بصيرة إلى منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم»[11].

وسنحاول الوقوف على إسهامات هذه الزاوية، وجهودها في مجال السنة النبوية الشريفة، من خلال مجهودات بعض رجالاتها:

■ الشيخ عبد الكبير الكتاني:

هو الشيخ عبد الكبير بن محمد بن الشيخ أبي المفاخر محمد بن عبد الكبير الحسني الإدريسي المعروف بالكتاني،(..) ولد بفاس سنة 1268هـ، وتوفي ضحى يوم الخميس 26 ربيع الأول عام 1333هـ، ودفن بزاوية والده الكتانية بفاس رحمه الله ورضي عنه.

عُرف عن الشيخ التواضع للفقراء والمساكين، وحبه للجميع، وبخاصة العلماء، فكانوا يجتمعون عنده في منزله يقول عنه الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: «وكان الشيخ عبد الكبير حلسا من أحلاس العلماء والصالحين، بيته وزاويته موطنا لهم، ألفوه وقصدوه من المشارق والمغارب، محكما للسنة في أحواله وأقواله وأعماله، حركة وسكونا، حتى تجسدت به، لا مذهب له ولا طريقة دون الكتاب والسنة، شديد الملازمة لهم والأخذ عنهم»[12].

كما كان رحمه الله شديد الملازمة لسرد كتب الحديث ونشرها لاسيما صحيح البخاري الذي كان يسرده دوما بالزاوية الكتانية حتى «ختمه نحو الخمسين مرة بين قراءته له على المشايخ وإسماع له، وكان يعرفه معرفة جيدة يستحضر نوادره ومُخبّآته، ويستحضر «فتح الباري» استحضارا عظيما،

وأتم سماع وإسماع الكتب الستة، ولم يبق بفاس في عصره ولا بالمغرب مَن تَم له ذلك، يعرف الناس له منة إحياء الكتب الستة وكتبها بفاس والقيام عليها قيام النقاد المهرة، يستحضر أحاديث الكتب الستة كأصابع يده»[13].

■ الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني:

هو الشيخ محمد بن عبد الكبير بن عبد الواحد الكتاني الحسني، ولد منتصف ربيع الأول سنة 1290هـ بفاس، وتوفي رحمه الله صبيحة يوم الثلاثاء 13 ربيع الثاني سنة 1327هـ.

وجه رحمه الله اهتماماته للسنة النبوية، من خلال سرده وتدريسه وإقرائه لصحيح البخاري، لأنه كان يرى أن علامة محبة الله ورسوله تنحصر في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في الأقوال والأفعال والحركات والسكنات، وأن يكون «أعرف بطرق السنة من القطا، حتى لا يكاد يشذ عنه شيء من السنة المحمدية، باعتبار طرقها المتشعبة المتكاثرة، وخصوصا من يد النقاد الجهابذة النظار الذين أفنوا أعمارهم في تصحيح أحاديثها، وسبر مخرجيها، ما رُتبتهم في العدالة والتجريح، فلا يجمل بمريدِ رضى الله أن لا يبحث عن كتب الحديث، حتى إذا ذكر عنده الحديث لا يعلم من خرّجه ولا من تكلم على معانيه ومآخذه الفقهية واللغوية والأدبية، وأما من لا يعتمد في أحاديثه إلا على «نزهة المجالس»، وجُل أحاديثها الله أعلم بصحتها!، كيف يعترض على من يمارس الكتب الستة، مع ما تيسر من شروحها وحواشيها؟!»[14].

كما أنه رحمه الله دعا إلى العمل بالأصلين اللذين عليهما مدار الأحكام والاجتهادات وهما الكتاب والسنة، ونبذ كل ما من شأنه أن يُبعد الناس عن التمسك بهما، لذلك كانت حملته شديدة على أهل الفروع الذين فرطوا في الاهتمام بأصول ومآخذ الأحكام، يقول في كتابه سلم الارتقاء[15]: «إن العِلمين الجليلين الفاضلين المهمين اللذين هما مراد الشارع من تربية العالم؛ وهما: علم الحديث، وعلم الرياضة (التصوف) صارا كالمنسوخين اليوم، أما علم الحديث؛ فلا تجد قائلا به. إذا استدللت بحديث لأحد على جزئية من الجزئيات؛ اغتاظ كأنك أتيت من الدين ما لم يأذن به الله، وعارضك هو بكلام حكيم من الحكماء، أو إمام من الأئمة. أبعَدَ علم رسول الله المُؤيد بالوحي السماوي، عِلم الذي كان مَنزله مُستراحا لملائكة السماء، وتطأه الملائكة صباحا ومساء، فهو المُبيِّن عن الله حقيقة مكنون العبادة التي خلقت الجن والإنس لأجلها، قال جلت عظمته: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ الذاريات، 56».

وكان «يداوم على قراءة كتاب صحيح البخاري وإقرائه وتدريسه سواء في زاويته بفاس أو بجامع القرويين حيث ختمه ختمة جليلة تكلم فيها على أكثر من عشرين علما بمحضر قاضي الجماعة وعلماء القرويين وكبار القوم وهي مطبوعة طبعة فاسية ابتدأها في الغلس من صلاة الصبح فلم يقم إلا قبيل الظهر»[16]، وكان رحمه الله يُقرِأ الشمائل للترمذي في زاويته وإذا لم تستوعب الحضور، انتقل إلى جامع القرويين لمتابعة ما ابتدأه معهم، وكذلك يُدرس جامع الترمذي، وسنن النسائي، والترغيب والترهيب، والشفا للقاضي عياض، في شهر ربيع الأول.

وبعد أن رجع لفاس؛ أملى ختمتين على البخاري، أولاهما: بالزاوية الكتانية 1317هـ بقي يملي فيها من السادسة صباحا إلى الساعة الحادية عشرة؛ أنشأ شعراءُ فاس في مدحها عدة قصائد. وثانيتهما: أملاها بجامعة القرويين سنة 1318هـ امتلأت الجامعة من أجلها امتلاء ما رُؤِي مثله، حضرها أئمة العلم وشيوخه بفاس. بقي يُملي فيها من الغلس إلى الزوال بدون تلعثم ولا تلكؤ. وعدّ جميع الحاضرين ذلك مُعجزة إلهية، تكلم فيها على آخر حديث من الصحيح من نيف وعشرين علما»[17].

ولم يقتصر في تدريسه على المغرب، بل انتقل إلى الأزهر الشريف، فنال بذلك التقدير والاحترام من شيوخ الأزهر وعلمائه، فاستجازوه، وتحدث عن ذلك الشيخ أحمد رواق الشامي بقوله من قصيدة مدح فيها الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني:

والأزهـــر المعمور من درســه

قد كاد من فرح به أن يطير

وما يدل على عطائه الغزير وتفانيه في خدمة الحديث هو كثرة مؤلفاته التي زادت على ثلاثمائة كتاب.

■ **الشيخ محمد بن جعفر الكتاني:**

هو الشيخ المحدث محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، ولد بفاس سنة 1274هـ، وتوفي سنة 1345هـ.

وهو صاحب الكتاب المشهور الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، التي طار ذكرها في المغرب والمشرق، وأثنى عليها العلماء فكلهم عيال عليها ينهلون من معينها، ويكرعون في حياضها، يقول عنها الشيخ القاضي الطيب بن عبد الله بن الهاشمي ابن خضراء السلاوي رحمه الله: «فمن استمسك بها فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن طالعها وعلم ما جمعت من مشهور كتب السنة وأهلها لا يضل ولا يشقى، فيالها من رسالة ما أحسنها، وجامعة ما أجملها، تتنزه في محاسنها الأفكار، ويجتني كل حبر من روضتها الأزهار»[18].

يقول عنه الشيخ عبد الحي الكتاني: «وهو رحمه الله ممن خاض في السنة وعلومها خوضا واسعا واطلع اطلاعا عريضا على كتبها وعويصاتها بحيث صار له في الفن ملكة وإشراف لم يشاركه فيهما أحد من أقرانه بفاس والمغرب وتم له إسماع غالب الكتب الستة وقرر عليها وأملى وقيد وضبط وعرف بملازمة السنة في هديه ونطقه وفعله وشدة التثبت والتحري في علمه وعمله واشتهر أمره في مشارق الأرض ومغاربها بذلك وافتخر أعلام بالأخذ عنه والانتماء إليه»[19].

وقد احتفل بدروسه أهل المغرب، والمشرق، فكان رحمه الله يدرس بزاويته بفاس وفي جامع القرويين، وفي المدينة المنورة، وفي جامع الأمويين بالشام، ونال بذلك التقدير والتعظيم من الجميع.

3 - الزاوية الصديقية:

للزاوية الصديقية بطنجة يد كبرى في الحفاظ على الحديث النبوي الشريف ونشره، سواء في المغرب أو خارجه، حيث أنجبت فحولا لا يُجارَون، ورجالا لا يُدارَون، منهم الشيخ الحافظ أحمد بن الصديق، والشيخ عبد الله بن الصديق، والشيخ عبد العزيز بن الصديق...

وسنقتصر في هذه الدراسة على الشيخ أحمد بن الصديق وشقيقه عبد الله بن الصديق.

■ **الشيخ أحمد بن الصديق:**

هو الحافظ الكبير مجدد علم الحديث في القرن الرابع عشر الإمام المجتهد أبو الفيض سيدي أحمد بن محمد بن الصديق الغماري رضي الله عنه، ولد بالمغرب سنة 1320هـ، وأخذ العلم عن مشايخ بلده ورحل إلى مصر فأخذ عن مشايخ الأزهر الشريف، وكان معظما عندهم، لجلالة قدره ومكانة علمه، فعندما زاره شيخه، علامة الديار المصرية، في عيد الفطر، وجد معه جماعة من الكبراء، والوزراء، فعرّفهم به وقال لهم: «إنه حافظ منفرد اليوم بعلم الحديث»[20]، فسيرته سيرة الحفاظ والمحدثين الأولين كابن حجر والنووي... بل استدرك وعقب على هؤلاء العلماء في كتابه «ليس كذلك»، كأن يقول الإمام أحمد أو ابن معين في حديث: ليس له إلا طريق واحد، فيقول المُؤلِف: ليس كذلك، بل له طريق آخر، ويذكره. أو يقول: ليس له طريق صحيح، فيقول المؤلِف: ليس كذلك، بل له طريق صحيح، ويُبينه. أو: الراوي فلان، ليس له مُتابع، فيقول المؤلف: ليس كذلك، بل تابعه فلان، ويذكر مُتابعته.

وهو أول من أنشأ علم التخريج، مثل ما أنشأ الشافعي علم الأصول، حيث وضع كتابا يُعد من أنفس الكتب، وأنفعها إطلاقا، وهو كتاب: «حصول التفريج بأصول التخريج» أو «كيف تصير محدثا؟» وكل من أتى بعده من المحدثين والدارسين عيال على كتابه هذا، تكلم فيه على زمن ظهور التخريج، وقعد لهذا العلم، وفصل في شروطه وبين مبهماته، ومستغلقاته، على طريقة المحدثين الأوائل. يقول رحمه الله مبينا ذلك: «فاعلم أنك طلبت ما لم يُسبق أحد إلى تأصيله ولا تنبه سابق إلى اختراع الكلام فيه وترتيب فصوله، فلا نعلم أحدا أفرد هذا الفن بتأليف ولا خص أصوله بجمع وتصنيف، بل ولا أشار إلى قواعدها في كتاب، أو نبه

على أصل من أصوله ضمن باب من الأبواب، فإسعافك بمرغبك إتحافك بطلبك يُعرِّض إلى الخوض في فن مبتكر وبحث مخترع لا يوجد في كلام السابقين ما يُساعد على التوسع في قواعده وتأصيل مسائله وفوائده»[21].

أسدى هذا الشيخ رحمه الله خدمات جليلة للمذهب المالكي، من حيث ربط الفروع بأصولها، والأدل على ذلك كتابه على رسالة ابن أبي زيد القيرواني؛ حيث «يذكر فيه لكل مسألة أدلتها من الكتاب والسنة والقياس، سماه (تخريج الدلائل لما في رسالة القيرواني من الفروع والمسائل) فكتب منه مجلدا إلى كتاب النكاح، ثم عدل عن التطويل فشرع في آخر مختصر يذكر فيه لكل مسألة حديثا أو حديثين، فأتمه في مجلد وسماه: (مسالك الدلالة على مسائل الرسالة)»[22]، وهذا الكتاب مطبوع، وله عدة كتب تنحو هذا المنحى، إلى درجة أن السلطان المغربي مولاي عبد العزيز لما وصله كتاب ابن الصديق المسمى بالمثنوني سُرّ منه وأرسل إليه هدية، وقال: «إن هذا الكتاب كان دَيْناً على المالكية حتى أداه عنهم فلان»[23].

وأحيا الله به العلم بعد اندراس أهله، وفناء رسمه، فعندما جلس للتحديث في مصر قصده الناس من مختلف الطبقات للاستفادة منه في الحديث وسؤاله عما أعوزهم معرفته منه، بل كان يتردد إليه كبار العلماء كالشيخ بخيت، والسيد أحمد رافع، والشيخ يوسف الدجوي، والخضر بن الحسين التونسي، وعبد المعطي السقا، وعلي سرور، ويوسف الشبرانجومي، وغيرهم[24].

وما زال يُحدث ويدرّس ويُؤلف، حتى وافته المنية في القاهرة سنة 1380هـ، رحمه الله.

■ الشيخ عبد الله بن الصديق:

هو الشيخ عبد الله بن محمد الصديق شقيق الشيخ أحمد، أبو الفضل الحسني. ولد بطنجة غرة رجب سنة 1328هـ، اعتنى به والده كثيرا فحفظ القرآن الكريم برواية ورش، كما حفظ بعض المتون مثل الأجرومية والألفية، ومختصر خليل، والأربعين النووية، وبلوغ المرام... ثم رحل إلى فاس لاستكمال مشواره العلمي فأخذ عن مشايخ القرويين النحو، والصرف، والبلاغة، والمنطق، والتفسير، والحديث، والفقه.

عاد إلى طنجة ليدرّس بزاوية أسلافه، ولم يمنعه ذلك عن الأخذ عن والده دروس الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، وصحيح البخاري...

وفي سنة 1349هـ التحق بالأزهر الشريف وأخذ عن علمائه، وفي السنة الموالية حصل على شهادة العالمية؛ حينها اشتغل بالتدريس في الأزهر.

كان شقيقه الأكبر الحافظ أحمد بن الصديق يدعوه إلى صرف همته في الحديث؛ يقول رحمه الله في: «سبحة العقيق»: «وكان ميالا بطبعه إلى المعقولات، غير ملتفت إلى الحديث وفنونه، وكنت أدعوه إلى الاشتغال به المرة بعد الأخرى، وأقول له إن النحو وغيره من الآلات لم توضع لذاتها، وإنما وضعت للتوصل بها إلى المقصود الأهم وهو علم الكتاب والسنة، ثم المشتغلون بها في الدنيا لا يحصون بل لا يوجد غالبا إلا من يشتغل بهذه العلوم، وأما السنة النبوية فعلماؤها أقل من القليل، فكان في بدايته يسلم هذه ويصر على الاشتغال بما هو فيه، وربما عارض ما قلت في بعض الأحيان إلى أن سافر معي إلى القاهرة ولازمني تلك المدة الطويلة فكانت سبب إقباله على الحديث وصرف وجهته إليه خصوصا لما صارت تتوارد الأسئلة عليه من بعض أصدقائنا المصريين بظنهم أنه من أهل الحديث كأخيه، فألجأه ذلك إلى الاشتغال بالحديث وصار يكتب فيه المقالات المتعددة وتدرب بكتبي وأجوبتي وملازمتي في معرفة رجال الحديث وصناعته مع ذكائه وسرعة إدراكه، وألَّف فيه رسائل»[25]، وأصبح بعد ذلك مرجعا يرجع إليه علماء الأزهر في علم الحديث، كالشيخ بخيت، والشيخ يوسف الدجوي، والشيخ عبد المجيد اللبان، والشيخ الخضر حسين التونسي.

في سنة 1391هـ رجع إلى المغرب، فواصل مشروعه العلمي في الزاوية الصديقية من تدريس وتأليف و تحقيق، إلى أن التحق بالرفيق الأعلى في شعبان سنة 1413هـ ودفن بالزاوية الصديقية.

من خلال هذه الجهود يتبين أن الزوايا بالمغرب أنجبت علماء نجباء، أثروا الساحة العلمية بمجالسهم العطرة، وبمؤلفاتهم القيمة وتحقيقاتهم الجليلة، فازدهر بهم سوق العلم بعدما عرف ركودا، وتزينت بهم ساحة الفكر بعدما عرفت أفولا، ذكرتنا بالعصر الذهبي للأمة الإسلامية، وقد كان من أهم ما برزوا فيه العلوم الشرعية وبخاصة الحديث وعلومه، من حيث التحصيل والتدريس والتأليف والدفاع عنه، ونشره، والأهم من ذلك كله؛ السعي إلى التحقق به ظاهرا وباطنا ■

الهوامش:

1. نشر المثاني، 4/ 1640. لمحمد بن الطيب القادري، تحقيق: محمد حجي، وأحمد التوفيق، ضمن موسوعة أعلام المغرب، تنسيق وتحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط2 / 2008.
2. طبقات الحضيكي، 2 / 319. لمحمد بن أحمد الحضيكي، تقديم وتحقيق: أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1427هـ 2006م.
3. فهرسة اليوسي، للإمام أبي المواهب الحسن بن مسعود اليوسي،144، تقديم وتحقيق: حميد حماني اليوسي، ط1، 1425هـ 2004م.
4. فهرس الفهارس ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، 2 / 677، لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، باعتناء إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط 2، 1420هـ 1982م.
5. طبقات الحضيكي، 1 / 86.
6. فهرس الفهارس، 2 / 677.
7. المصدر السابق نفسه، 2 / 672.
8. المصدر السابق نفسه، 2 / 847.
9. المصدر السابق نفسه، 2/ 847.
10. طلعة المشتري، 2 / 164. نقلا عن كتاب: مدرسة الإمام البخاري بالمغرب، 2 / 514، انظر الهامش رقم 22.
11. فهرس الفهارس، 2 / 877.
12. المصدر السابق، 2/ 743.
13. نفسه، 2 / 745.
14. ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد المُسماة: أشرف الأماني بترجمة الشيخ سيدي محمد الكتاني، للإمام أبي الهُدى محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني، -97 تقديم الزعيم الكبير: محمد بن عبد الكريم الخطابي، تحقيق: نور الهُدى عبد الرحمن الكتاني، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، دار ابن حزم، بيروت ـ لبنان، ط1، 1426هـ 2005م.
15. نقلا عن كتاب: ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد المُسماة: أشرف الأماني بترجمة الشيخ سيدي محمد الكتاني، للإمام محمد الباقر الكتاني، 98.
16. المظاهر السامية، نقلا عن مدرسة الإمام البخاري، يوسف الكتاني 2 / 523. دار لسان العرب - بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.
17. ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد المُسماة: أشرف الأماني بترجمة الشيخ سيدي محمد الكتاني، للإمام محمد الباقر الكتاني، 286.
18. الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، لمحمد بن جعفر الكتاني، 17، كتب مقدمتها ووضع فهارسها: محمد المنتصر بن محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني، دار البشائر الإسلامية، ط8 / 2009.
19. فهرس الفهارس، 2 / 390.
20. البحر العميق في مرويات ابن الصديق، للحافظ أبي العباس أحمد بن محمد بن الصديق الحسني الغماري، 90، دار الكتبي، القاهرة، 2007م، بدون ط.
21. حصول التفريج بأصول التخريج، أو كيف تصير محدثا؟، لأحمد بن محمد بن الصديق الغماري، 11 - 12، تحقيق: محمود سعيد ممدوح، مكتبة طبرية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1414هـ 1993م.
22. البحر العميق، 69.
23. المصدر السابق، 101.
24. نفسه، 68 - 69.
25. مقال من موقع:

www.benseddik.net /aalame_wataragime /ar2.htm

تحت عنوان: السيد عبد الله بن محمد بن الصديق الحسني.